الموشح الأندلسى
بين التأثر والتأثير

الدكتورة
حنان أحمد عبد الله فقيه السيد
الأستاذ المساعد بكلية التربية للبنات
جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هناك شبه إجماع على أن الموشحة فن أندلسى كما صرح بذلك القدامى من مؤرخي الأدب الأندلسي كابن دحية[١] وابن بسَّام[٢]وابن خلدون[٣] والمقَّرى[٤]صاحب نفح الطيب ، والمحبّى صاحب " خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر"[٥]وابن سناء الملك صاحب كتاب "دار الطراز فى عمل الموشحات"[٦].

وتبعهم فى القول بأندلسية الموشحة المنصفون من أعلام الأدب فى العصر الحديث من أمثال أحمد ضيف[٧] وأحمد أمين[٨] وشوقى ضيف[٩] وغنيمى هلال[١٠] ، وأحمد هيكل[١١] وإحسان عباس[١٢] وجودة الركابى[١] وغيرهم .

---

(١) المطرب لابن دحية تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرين ص ٢٠٤.

(٢) الزخيرة ق ١ م ١ ص ٤٦٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١١٣٨ ط دار الكتاب اللبنانى.

(٤) نفح الطيب جـ ٧ ص ٦.

(٥) خلاصة الأثر جـ ١ ص ١٠٨.

(٦) دار الطراز تحقيق د. جودة الركابى ص ٢٣.

(٧) بلاغة العرب فى الأندلس ص ٢٣٠.

(٨) طهر الإسلام ١٩١/٣.

(٩) مقدمة فن التوشيح ص ٨.

(١٠) الأدب المقان ص ٢٥١.

(١١) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ص ١٤٧

(١٢) تاريخ الأدب الأندلسى عصر الطوائف والمابطين ص ٢٢١.

وأول من ابتدع الموشحة مقدم بن معافى القبرى كما ذكر ابن خلدون أو محمد بن محمود القبرى كما ذكر ابن بسَّام أو أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب "العقد الفريد" ، ولكن المصادر لم تُسعفْنا بموشحة واحدة لأحدهم .

وأول موشحة وصلتنا لأبى عبادة بن ماء السماء المتوفي سنة ٤٢٢ هـ ، أى أنه عاش فى الشطر الأخير من القرن الرابع وشطراً من القرن الخامس الهجريين .

ومن ثمَّ عدَّه الدكتور مصطفى الشكعة المؤلف الفعلى لفنّ الموشحات[٢]، يقول عنه ابن بسام :

" كان أبو بكر فى ذلك العصر شيخ الصناعة ، وإمام الجماعة ... وكانت صنعته التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادةُ هذا منآدَها ، وقوَّم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أُخذَتْ إلا عنه ، واشتهر بها اشتهاراً غلب ذاته ، وذهب بكثير من حسناته " [٣]:

ومطلع موشحته التى وصلتنا :

مَنْ وَلِى فى أمةٍ أمراً ولم يَعْدِلِ ... يُعْزَلِ إلا لحاظَ الرشأ الأكْحَلِ

* * *

وقد عرَّف ابن سناء الملك الموشح بقوله : " الموشح كلامٌ منظوم على

---

(١)فى الأدب الأندلسى ص ٢٨٩.

(٢) الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ص ٣٧٣.

(٣) الزخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى ص ١.

وزن مخصوص ، وهو يتألف فى الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له : التام ، وفى الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ، ويقال له : الأقرع ، فالتام : ما ابتدئ فيه بالأقفال ، والأقرع : ما ابتدى فيه بالأبيات "[1].

وقد ذاع فن التوشيح على يد وشاحين كبار ممن جاءوا بعد عبادة بن ماء السماء من أمثال عبادة القزاز وابن اللبّانة (عصر ملوك الطوائف) والأعمى التطليلى وابن باجة وابن بَقّى (عصر المرابطين) وابن زهر ت ٥٩٥هـ) وابن سهل الإشبيلى اليهودى المتوفي سنة ٦٤٩ ، ومحى الدين بن عربى (عصر الموحدين) ولسان الدين الخطيب وزير دولة بنى الأحمر بغرناطة المتوفي سنة ٧٧٦هـ ، وأبى عبد الله بن زمرك وزير بنى الأحمر المتوفي ٧٩٧هـ تلميذ ابن الخطيب (العصر الغرناطى).

وقد لاحظت من خلال قراءاتى للموشحات عبر هذه الأعصر الأندلسية. تطور الموشحات وازدهارها فى عصرى الموحدين والعصر الغرناطى عند لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك .

كما لاحظت تأثر الوشاحين اللاحقين بالسابقين عبر عصور الأندلس . بدافع الإعجاب والاستجادة ؛ فابن زهر الحفيد (عصر الموحدين) تأثر بابن بقّى كبير الوشاحين فى عصر المرابطين ، وابن عربى تأثر بسلفه ابن زهر ، كما تأثر بابن زهر من المشارقة صلاح الدين الصفدى صاحب كتاب (الوافى بالوفيات).

وتأثر لسان الدين بن الخطيب كبير الوشاحين فى العصر الغرناطى

---

(١) دار الطراز فى عمل الموشحات تحقيق د. جودة الركابى ص ٢٥.

بابن سهل الإشبيلى أحد الوشاحين الكبار فى عصر الموحدين ، حيث حذا حذوه فى موشحه :

جادَكَ الغيثُ إذا الغَيْثُ هَمَى يا زمـــانَ الوصـــل بالأندلس

وتأثر ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب بأستاذه ابن الخطيب وبابن سهل الإشبيلى أستاذهما .

وقد ذاعت موشحة ابن الخطيب فى المشرق فعارضها أحمد شوقى بموشحه "صقر قريش" كما تأثر الشاعر المصرى محمود رمزى نظيم بموشح ابن سهل "هل درى ظبى الحمى" فنظم على منواله موشحه فى رثاء أم أمير الشعراء أحمد شوقى . حيث ماتت وهو فى منفاه بالأندلس ومطلعها :

هـل درى أحمـد أو هـل علمـا شـــاعر المشـــرق بالأنـــدلس
أننا من بعـــده نبكـى دمـــــا للبيـــان الشيّـــق المحتبـس ؟

كما أعجب المشارقة بالموشح المشهور للأعمى التطيلى الذى مطلعه :

ضاحكٌ عن جمانْ سافرٌ عن بَدْرِ ضاق عنه الزمانْ وحواه صَدْرى

فتأثر به أحمد بن حسن الموصلى وصلاح الدين الصفدى فنظما على منواله موشحين رائعين سنعرض لهما فى الفصل الثانى .

ويرجع الفضل فى إذاعة الموشح الأندلسى ببلاد المشرق إلى المرتحلين من الاندلس إلى بلاد المشرق طلباً للعلم أو التجارة ، أو هرباً من تقلبات السياسة، او رغبة فى أداء فريضة الحج.

" ولم يلبث شعراء المشرق أن حاكوا الموشحات الأندلسية ، ونسجوا

على منوالها ، وانبرى من بينهم ابن سناء الملك يرصد أصولها وطرائقها حتى استقامت له فى مقدّمته التى وضعها لكتابه " دار الطراز " الذى نشره الدكتور جودة الركابى "[1].

وقد أعقب هذه المقدّمة بذكر بعض الموشحات المغربية ثم أردفها بموشحاته .

وظاهرة التأثر والتأثير فى الموشح الأندلسى على النحو الذى أشرنا إليه ، وصداها لدى شعراء المشرق — لم تأخذ حقها من الدراسة ؛ إذ لم أجد — فيما أعلم — دراسة أدبية مستقلة تناولت هذه الظاهرة ، مما دفعنى إلى دراستها .

وتألق الأندلسيين فى فن التوشيح يُدلّل على سبقهم إليه . وإجادتهم له . واستجادةُ المشارقة لموشحاتهم دَفَعَهم إلى محاكاتها ، والنظم على منوالها . كما فعل ابن سناء الملك فى محاكاة لموشح عبادة بن ماء السماء ، وكما فعل أحمد الموصلى والصفدى فى محاكاتهما للأعمى التطيلى ، ومحاكاة الصفدى لابن زهر الأندلسى .

وإذا كان الأندلسيون قد تأثروا بآداب المشارقة تأثراً كبيراً ، ونظروا إليها نظرة إجلال وإكبار ، فإن المشارقة قد تأثروا بالأندلسيين فى الموشحات ، لتفوقهم فيها على المشارقة بشهادة ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ ، وهو مشرقى ، حيث قال : " إن الموشحات مما ترك الأولُ للآخر .. وأجْلَب بها أهل المغرب على أهل المشرق ... صار المغرب بها مشرقاً لشروقها بأفقه ،

---

(١) مقدّمة ديوان الموشحات الأندلسية تحقيق د. سيد غازى ص ١١.

وإشراقها فى جوّه ، وصار أهل المغرب بها أغنى الناس لظفرهم بالكنـــز الذى ذخرته لهم الأيام "[1].

* * *

هذا وقد وقع البحث فى مقدّمة وفصلين وخاتمة .

– فالمقدّمة – كما أسلفنا – تناولتْ أهمية الدراسة ومدى إثرائها للدراسات الأدبية فى الأندلس ، والإشارة إلى التأثر والتأثير بين وشاحى الأندلس وتأثر المشارقة بهم .

– **والفصل الأول** : ملامح التأثر والتأثير فى الموشح الأندلسى ، تناول :

أولاً : الموشح بين ابن بَقّى وابن زهر الحفيد.

ثانيا : الموشح بين ابن زهر ومحى الدين بن عربى .

ثالثا : تأثر لسان الدين بن الخطيب بابن سهل وابن الصابونى .

رابعا : تأثر ابن زمرك والتلاليسى بابن سهل.

والفصل الثانى : صدى الموشح الأندلسى فى المشرق ، ويشمل :

أولا : تأثر ابن سناء الملك بعبادة ابن ماء السماء .

ثانيا : تأثر أحمد الموصلى والصفدى بالأعمى التطيلى.

ثالثا : تأثر الصفدى بابن زهر الإشبيلى .

رابعا : تأثر بعض المشارقة المعاصرين بالموشح الأندلسى :.

١ – تأثر شوقى بابن الخطيب .

---

(١) دار الطراز لابن سنان الملك ص ٢٣.

٢- تأثر رمزى نظيم بابن سهل .

٣- تأثر محمد بن عبد المطلب شاعر البادية بابن زُهْر.

والخاتمة تشمل ملخصاً للبحث والجديد فيه وأهم المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م

* * *

أولاً بين ابن بقى [1] وابن زهر الحفيد [2]:

قال ابن بقى فى إحدى موشحاته الغزلية :

عَبَثَ الشوقُ بقلبـى فاشتكى ... ألَم الوجْد فلَبَتْ أَدْمُعـــى

* * *

أيهـــا الناسُ فؤادى شَغَفُ
وهَوَ منْ بَغى الهوى لا يُنصَفُ
كم أداريه ودمعـــى يكِفُ
أيها الشادنُ مَنْ علَّمكـــا ... بسِهام اللحْظِ قَتْلَ السَّبُـــعِ

* * *

ومضى فى تغزله إلى أن ختمها بقوله :

ذاب قلبى فى هوى ظبى غريرْ
وَجْهُهُ فى الدجْن صُبْحٌ مستنيرْ
وفـــؤادى بين كفيـــه أسيرْ
لم أَجِدْ للصبر عنه مَسْلكـــا ... فانتصارى بانسكابِ الأَدْمُـعِ

* * *

---

(١) هو أبو بكر يحيى بن بقى الطليطلى شاعر مجيد ، ووشاح بارع فى عصر المرابطين وأكثر شعره فى المدح والغزل ، توفي سنة ٥٤٠هـ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادى المعروف بالحفيد . من كبار الوشاحين فى عصر الموحدين ، توفي سنة ٥٩٥هـ.

والموشح خالص فى الغزل العفيف الذى يكشف عن شوق المحب وعشقه وتهالكه وصبابته.

وقد نظمها على بحر الرمل (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلا) فى كل شطر .

والأقفال : موحدة القافية ، قافية العين ، والأبيات منوعة القوافى كما قال ابن سناء الملك فى تعريف الموشح: .

وقد أعجب ابن زهر بموشحة أستاذه ابن بقى فنظم على مناولها موشحه المشهور فى الغزل والخمر واستهله بقوله [1]:

أيها الساقى إليك المُشْتَكَى ... قد دعوناكَ وإن لم تسمعِ

* * *

وَنديمٍ هِمْتُ فى غُرَّتِهِ
وشَرِبْتُ الراحَ مِنْ راحَتِهِ
كلما استيقظ مِنْ سَكْرَتِهِ

جَذَبَ الزِّقَّ إليه واتَّكا ... وسقانى أربعاً فى أربعِ

* * *

وختمها بقوله :

كبدى حَرَّى ودَمْعى يكفُ
تعرف الذنبَ ولا تعترفُ
أيها المعرضُ همَّا أصفُ

قد نما حبَّكَ بقلبى وزكا ... لا تَقُلْ فى الحبِّ إنّى مُدَّعِ

---

(١) ينظر: موشح ابن بقى فى: ديوان الموشحات الأندلسية تحقيق د. سيد غازى ٤٨٣/١ وموشح ابن زهر فى المصدر نفسه ٧٦/٢ ط منشأة المعارف - لإسكندرية.

ثانياً : بين ابن زهر ومحى الدين بن عربى [1]:

وكما تأثر ابن زهر فى موشحه (أيها الساقى إلى المشتكى) السالف الذكر بموشح سلفه ابن بقّى وزناً وقافية وموضوعاً – تأثر ابن عربى بموشح ابن زهر فقال على وزنه وقافيته [2]:

عندما لاح لِعَيْنى المُتَّكـــا ذُبْتُ شوقاً للذى كان معـــى

أيهـــا البيتُ العتيقُ المشرفُ
جاءك العبد الضعيفُ المسْرِفُ
عينه بالدمع شوقـــاً تذرَفُ

غُرْبةً منه وفكـراً فالبُكـا ليس محمـــوداً إذا لم يَنْفَعِ

***

ثم ختمها بما يدل على تأثره بابن زهر فقال :

أيهـــا الساقى اسقنى لا تأتَلِ
فلقد أتعب فكـــرى عُذَلى
ولقد أنشده ما قيـــل لى :

أيها الساقى إليك المُشْتَكَـى ضاعـت الشكوى إذ لم تنفـع

---

(١) ولد ابن عربى فى مرسية بالأندلس سنة ٥٦٠ ، وتنقل فى بلدان الأندلس ثم رحل إلى دمشق ومات بها سنة ٦٣٨ هـ . وكان شاعراً صوفياً ومؤلفاً.

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية جـ ٢ ص ٣١٨ تحقيق د. سيد غازى.

وهكذا ختم ابن عربى موشحه بمطلع موشح ابن زهر ليعلن عن إعجابه بموشحه وتأثره به وزناً وقافية ، وإن اختلف الموضوع فموشح ابن عربى فى التصوف الذى غلب على شعر ابن عربى وموشحاته.

***

ثالثا : بين ابن سهل[1] ولسان الدين الخطيب[2]:

يعد ابن سهل من كبار الوشاحين فى عصر الموحدين ، إلى جانب تألقه فى الشعر، فقد كان شاعراً ووشاحاً مجيداً ، وبرع فى فن الغزل .

والموشح الذى سنعرض له من روائع غزله ، ومن ثم حاكاه كبار الوشاحين الذين جاءوا بعده فى الأندلس كابن الخطيب وفى المشرق كشوقى أمير الشعراء العرب فى العصر الحديث.

وقد استهلَّ ابن سهل موشحه بقوله[3]:

هل درى ظبى الحمىَ أنْ قد حَمَى ... قَلْبَ صَبّ جلةَ عن مَكْنس
فهو فى حرّ وخفْقٍ مثلما ... لَعِبَتْ ريح الصبا بالقَبَسِ

* * *

يا بدوراً أطلعَتْ يوم النوى ... غُرَراً تُسْلَكُ فى نهج الغُرَرْ
ما لقلبى فى الهوى ذنبٌ سوىَ ... منْكمُ الحسْنُ ومنْ عينى النظرْ
أجْتَنى اللذات مكلومَ الجَوى ... والتذاذى منْ حبيبى بالفكرْ
كلما أشكوه وَجْدى بسما ... كالرُّبى بالعارض المُنْبَجِس
إذْ يقيمُ القَطْرُ فيه مأتماً ... وهى منْ بهجتها فى عُرُسِ

* * *

---

(١) ابن سهل : هو إبراهيم بن سهل الاسرائيلى الإشبيلى ، ولد سنة ٦٠٩ هـ ، ونشأ فى إشبيلية ، وتألق فى الشعر والتوشيح ، وتوفي سنة ٦٤٩هـ.

(٢). وابن الخطيب : من كبار الشعراء والوشاحين فى العصر الغناطى توفي سنة ٧٧٦هـ

(٣) ديوان ابن سهل الأندلسى تقديم د. إحسان عباس ص ٢٨٣ ط دار صادر.

و مضى ابن سهل فى تغزله ثم ختم موشحه بقوله

أَنفَدتْ دَمْعِىَ نارٌ فى ضِرامْ ... تَلْتَظى فى كُلّ حينٍ ما يَشَا
هى فى خَدَّيه بَرْدٌ وسَلامْ ... وَهْىَ ضِرٌّ وحريق فى الحشَا
أَتَّقى منه علىِ حُكْم الغرامْ ... أسدا وَرْدا وأهواه رَشَا
قُلتُ لما أن تبدَّى مُعْلما ... وهو منْ ألحاظه فى حَرَس
أيها الآخذ قلبى مَغْنَما ... اجعلِ الوَصْلَ مكانَ الخُمُسِ [1]

* * *

وهذا الموشح خالص فى الغزل العفيف ، ويعدُّ من بدائع ابن سهل ، وقد نظمه من تام الرمل الذى وزنه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتـــن . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتـــن

وقد تأثر به لسان الدين ين الخطيب ، وأعجب به ، فنظم على نهجه – وزناً وقافية – موشحه المشهور [2] :

جادكِ الغيثُ إذا الغَيْثُ هَمَى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندلس
لم يكن وَصْلُكَ إلا حُلما ... فى الكرى أو خُلْسَةَ المختلِسِ

* * *

لكن موضوع موشح ابن الخطيب فى المدح ، مدح الأمير الغنى بالله

---

(١) الخمس : نصيب قائد الجيش من الغنيمة .

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية تحقيق د. سيد غازى ٤٨٤/٢ ، ونفح الطيب جـ ٧ ص ١١ – ١٤.

صاحب غرناطة ، وقد استهله بالدعاء بالسقيا لديار أنسه ، وزمان وصله بالأندلس ، ثم وصف الطبيعة ، وغيرة الورد من وصال المحبين .

وناشد أهل الحى بالأندلس مستعطفاً متغزلاً :

يـا أُهَيْـلَ الحـىّ مـن وادى الغضـا ... وبقلْبـى مَسْـكَنٌ أنْـتُمْ بـه
ضاق عن وجدى بكم رَحْبُ الفضا ... لا أبـالى شَـرْقَهُ مِـنْ غرْبِـه
فاعيـدوا عهـدَ أُنْسٍ قـد مضـى ... تُعْتقـوا عبـدكُمُ مِـنْ كُرْبِـه
واتقـوا الله وأحيـوا مُغْرَمًـا ... يتلاشـى نفسـاً فـى نفـس
حَبَسَ القلْبَ عليكـم كرمًـا ... أفترضَوْنَ عفـاءَ الحُبُسِ ؟ (١)

* * *

ومضى فى تغزله معبراً عن هيامه ، وشدة عشقه ، ثم انتقل إلى المدح ومهّد له بقوله:

سَلِّمى يـا نفسُ فـى حكـم القضـا ... واعمرى الوقْتَ برُجْعَى ومتـابْ
ودعـى ذكْـرَ زمـانٍ قـد مضـى ... بين عُتْبَى قد تقضتْ وعتـابْ
واصرفى القـول إلى المـولى الرضَـى ... ملـهم التوفيـق فـى أم الكتـابْ
الكـريم المنتهَـى والمنْتمَـى ... أسـد السَّـرْج وبَـدْر المجلـس
ينزل النصـر عليـه مثلمـا ... ينـزل الوحْـىُ بـروح القُدُسِ

* * *

مصـطفى اللهِ سَـمِىَّ المصـطفى ... الغنـى بـالله عـن كـلّ أحـد

---

(١) المراد بـ (عفاء الحبس) قتل المحب وهلاكه.

مَـــنْ إذا عقـــد العهـــد وَفَـــى وإذا مـــا فـــتح الخطْـــبَ عَقَـــدْ
مِـنْ بنـى قـيس بـن سـعد وكفَـى حيث بيتُ النصر مرفوعُ العَمَدْ
حيـث بيتُ النصـر مَحْمـىٌّ الحمَـى وجنـى الفضْـل زكـىُّ المغْـرَسِ
والهوى ظِل ظليـــل خَيَّمَـــا والنَّـــدى هـــبَّ إلى المغترسِ

***

وختم ابن الخطيب موشحه بقوله مخاطباً الممدوح أن يقبل هذه المدحة الرائعة التى تبهر العين جلاءً وصقال :

هاكهـا يـا سـبْطَ أنصـار العُـلا والـذى إنْ عثـر الـدهرُ أقـالْ
غـــادةً ألْبَسَـــها الحســـنُ حُـــلا تُبْـــهر العَـــيْنَ جـــلاءً وصـــقَالْ
عارضَتْ لفظاً ومعنىً وحُلَـــى قول مَنْ أنطقه الحبُّ فقـــالَ :
هل درى ظبى الحمىَ أنْ قد حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عـن مَكْنس
فهو فـــى حـــرّ وخفقٍ مثلمـــا لعِبَتْ ريـــح الصبَـــا بالقبَسِ

وقد ختم ابن الخطيب هذه الموشحة المدحية بمطلع موشحة ابن سهل الغزلية إعجاباً بأستاذه ابن سهل . وإعلاناً عن تأثره به وترسُّمه خطاه .

وقد أشاد الدكتور مصطفى الشكعة بموشحة بن الخطيب فقال فى سياق حديثه عن موشحات المديح :" ولعلّ أشهر موشحة فى هذا السبيل هى موشحة لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ فى مدح الأمير الغنى بالله صاحب غرناطة ، وموشحة لسان الدين تعتبر من اللون الراقى المتماسك من هذا الفن ، رصَّعها بوصف الطبيعة ، وزيَّنها بالتوريات اللطيفة ، ورنَّقها

بالصور البديعة ، وداعب الوردَ ، ولاطف الآس ، وتغزل وشكا والْتاع ، كل ذلك حتى يجعل هذه المعانى مهاداً يلقى من خلالها بباقات المديح التى أراد أن يقدمها لأميره "[1].

– تأثر لسان الدين بن الخطيب بابن الصابونى [2]:

لأبى بكر محمد بن أحمد بن الصابونى موشح فى الغزل استهلّه بقوله[3]:

قسماً بالهـــوى لـــذى حِجْر ما لِلَيْل المشوق مِـــنْ فَجْـــرِ

* * *

قرأه ابن الخطيب وأعجب به فاستعار هذا المطلع وجعله خرجةً لموشحه الغزلى الذى بدأه بقوله متغزّلاً [4]:

رُبَّ ليـــل ظفِرْتُ بالبـــدْر ونجـــوم السماء لـــم تَدْرِ

* * *

ثم مضى متغزلاً ، ووصف الطبيعة ، وانتقل إلى وصف أميره يوسف بن نصر وآله فقال :

هم ملوكُ الورى بلا ثُنيـــا
مهّدوا الدينَ زيّنوا الدنيـــا

---

(١) الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ص ٤٢٨ ط دار العلم للملايين بيروت ط ٣ ، ١٩٧٥م.

(٢) أبو بك بن الصابونى كبير الوشاحين فى عصر الموحدين ، كان معاصراً لابن سهل وتوفي سنة ٦٣٤هـ.

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية د. سيد غازى ١٥٢/٢.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٤٨٩.

وحَمىَ اللَّه منهم العَلْيـــــا

بالإمـــــام المرفَّع الخَطْـــــرِ والغمامِ المبـــــاركِ القطْـــــرِ

يا إمام العلاء والمَجْـــــد

أطلع العيدُ طالعَ السَّعْـــــد

ووفى الفتْحُ فيـه بالوَعْـــــد

وتَجلَّتْ فيـــه على القَصْرِ غُرَرٌ مِـــنْ طلائع النَّصْـــرِ

* * *

وختم بن الخطيب موشحه بمطلع ابن الصابونى فقال :

فَتَهَنَّأ مِنْ حُسْنه المُهَـــــجِ

بحياة النفوس وألَمهـــــــحِ

واستمعْها وَدَعْ مَقال شَجِـــى :

" قسماً بالهوى لـــــذى حِجْرَ ما لِلَيْل المشوق مِـــــنْ فَجْـــرِ [1]

* * *

ومطلع ابن الصابونى من المطالع الجيدة التى تأسر الألباب ، وقد أعجب به قبل لسان الدين بن الخطيب الأستاذ أبو الحسن الدبَّاج أحد الأساتذة الكبار فى إشبيلية ، فقد روى صاحب المقتطف :" سمعت أبا بكر بن الصابونى ينشد

---

(١) هذا مطلع موشح أبى بكر بن الصابونى.

الاستاذ أبا الحسن الدبّاج موشحات له غير مرّة ، فما سمعته قال : لله درُّك ! إلا فى قوله :

" قسماً بالهـــوى لـذى حِجْرَ ما لليْل المشوق مِـنْ فجـر[1].

ويلاحظ أن موشح ابن الصابونى خالص فى الغزل ووصف طول الليل على المحب ، وهو معنى قديم سبق إليه الشعراء ، بيد أن ابن الخطيب اختار أجود ما فى موشحه وهو المطلع ، فاستعاره وجعله خرجةً لموشحه فى مدح أميره يوسف بن نصر ، وقدم المدحة – كعادته – بالغزل ووصف الطبيعة ثم عرّج على ممدوحه ، كما فعل فى مدح أمير غرناطة حين ختم موشحه بمطلع ابن سهل السالف الذكر ، والموشحان من البحر الخفيف ، وجاءت الأقفال على قافية "الراء".

***

(١) هامش ديوان الموشحات الأندلسية تحقيق د. سيد غازى ١٥٢/٢.

رابعاً - تأثر ابن زمرك وائتلاليسى بابن سهل :

أ- تأثر ابن زمرك [1] بابن سهل :

لابراهيم بن سهل الإشبيلى موشح غزلىٌّ مشهور ، مطلعه [2] :

ليـــل الهـــوى يقظـــانْ والحـــبُّ تـــرْبُ السَّـــهرِ
والصَّبْرُ لـــى خـــوَّانْ والنومُ مِـنْ عَيْنى بَـــرِى

* * *

وقد تأثر ابن زمرك بهذا الموشح ، وأعجب به ، فنظم على ونه وقافيته موشحه فى مدح سلطانه ، وقد بدأه بوصف الطبيعة فقال [3]:

نواســـم البســـتانْ تنشـــر سِـــلْكَ الزَّهَـــرِ
والطل فـــى الأغصـــانْ ينظمـــه بالجوْهَـــرِ

* * *

وراحـــة الإصـــباحْ أضـــاء سنـــها المشـــرقُ
تنشـــرها الأرواحْ فـــلا تـــزال تخْفـــقُ
والزهـــر زهْـــر فـــاحْ لـــه عيـــونٌ ترمُـــقُ
فـــأيقظ النُـــدمانْ بُبصـــرْن مـــا لم يُبْصَـــر

---

(١) هو أبو عبد الله بن زمرك ، تلميذ لسان الدين بن الخطيب ، وكاتب سر الغنى بالله ، سلطان دولة بنى الأحمر ، شاعر ووشاح فى العصر الغرناطى ، توفي ٧٩٨ هـ .

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية ٢/ ١٩٥.

(٣) نفسه ٢/٥١١.

جواهـــر الشبـــــانْ قـــد عُرِضَتْ للمشترى[1]

* * *

ومضى فى وصف الطبيعة ، ثم عرّج على الغزل فقال فى ختامه :

رُحْمـــاكَ فـــى صَـــبٍّ أذكَرْتَـــهُ عَهْـــدَ الصِّـــبا
بواعـــــثُ الحُـــــبِّ قـــادَتْ إليـــه الوَصَـــبَا
لم تَهْـــفُ بالقلْـــب ريـــحُ الصَّـــبا إلا هَبَـــا
بَليلـــــةُ الأردانْ قـــد ضُـــمِّخَتْ بـــالعَنْبَر
يشير غُصْـــنُ البـــانْ منها بِفَضْـــلِ المِئـــزَرِ

* * *

ثم انتقل إلى المدحِ وختمه بقوله :

عصـــابةُ الكتّـــابْ حُـــقَّ لهـــا الفـــوزُ العظـــيمْ
تختـــال فـــى أثـــوابْ حُـــقَّ لهـــا الفخـــر الجسـيمْ
فحسْـــبُها الإطنـــابْ فـى الحمـد والشكر العميمْ
خليفـــــة الـــــرحمنْ لا زلـــتَ ســـامى المظْهـــرِ
يا مَـــوْرِدَ الظمـــآنْ ورأسَ مـــالِ المعْسِـــرِ

* * *

وفى الختام ناشد الممدوح أن يقبل هذه المدحة ، التى جاءت على هواه فهى أرقُّ من النسيم ، وختم الموشحة بمطلع ابن سهل ، كما فعل أستاذه ابن

---

(١) المشترى : كوكب ، طالعه سعْد . ففيه تورية.

الخطيب من قبل ، فقال :

خُـذها علـى دَعْـوَى تـزرِى علـى الـروض الوسـيمْ
جـاءتْ كمـا تَهـوىَ أرق مـنْ لـدْن النسـيمْ
قد طارحـتْ شكـوى مَـنْ قال فى الليـل البهيمْ :
ليـل الهـوى يقظـانْ والحـبُّ تـرْبُ السَّـهر
والصَبْرُ لـى خـوَّانْ والنومُ مِنْ عَيْنى بَـرِى"[1]

* * *

وإذا كان ابن سهل قد نظم موشحه فى الغزل – كعادته فى أكثر موشحاته – فإن ابن زمرك قد جمع فى موشحه بين الطبيعة والغزل والمدح مقتدياً بأستاذه ابن الخطيب فى موشحه (جادك الغيث ..).

والموشحان – كما نرى – من وزن واحد هو الرجز ، وقوافى الأقفال رائية .

وإذا كان ابن الخطيب قد ختم موشحه بمطلع ابن سهل (هل.درى ظبى الحمى ..) فإن ابن زمرك حاكاه فى موشحه (نواسم البستان ..) فختمه بمطلع ابن سهل (ليل الهوى يقظان ..) إعجاباً و تقديراً لابن سهل رائد فن التوشيح فى عصر الموحدين.

* * *

---

(١) هذا مطلع موشح ابن سهل السالف الذكر.

نحو ، وجعل التلاليسى مطلع بن سهل خرجةً لهذا الموشح ونُظِمَ الموشح من الرجز كما فعل ابن سهل وخلفه ابن زمرك ؛ مما يؤكد تأثر اللاحق بالسابق من وشاحى الأندلس .

وهكذا تجلت فى هذا الفصل ظاهرة التأثر والتأثير بين الوشاحين الأندلسيين عبر عصور الأندلس ، من خلال النماذج التى عرضناها ، فالسابق يؤثر فى اللاحق واللاحق يتأثر بالسابق فيما استجاد من موشحاته .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة غير التى أوردناها فى دراستنا فى هذا الفصل لكن مساحة البحث لا تسمح بعرضها ودراستها ، ولا بأس من الإشارة إليها ليستفيد منها الدارسون .

فابن سهل – على شهرته وتَصَدُّره وشاحى عصر الموحدين – أعجبه موشحة ابى عامر محمد بن يحيى بن ينق المتوفى سنة ٥٤٧ هـ (عصر المرابطين) فاستعار خرجتها لموشحه ، ومطلع موشح ابن ينق [١]:

يـا حـادى العـيس بالرحـال ... عُـجْ بـالطلول

وَسَلْ بهـا الأربُعَ البوالـى ... أيـن الخليـل؟

والخرجة المستعارة من ابن ينق [٢]:

يـا حـادى الركـبِ بالجمـالِ ... عَـرِّسْ قليـلْ

عسى تـرى مُقْلَتى غـزالِ ... قبـل الرحيـل

---

(١) ديوان الموشحات الأندلسية د. سيد غازى ١/ ٤٩٣

(٢) المصدر نفسه ٤٩٥/١ ، ينظر: موشح ابن سهل فى المصدر نفسه ٢١٦/٢ – ٢١٨.

وابن الصَّباغ (عصر الموحدين) استعار خرجة الأعمى التطيلى (عصر المرابطين) فجعلها خرجة لموشحه [1]: .

ويوسف بن الغنى بالله فى العصر الغرناطى استعار خرجة ابن الخباز (عصر ملوك الطوائف) [2] وجعلها خجةً لموشحه .

كما استعار مطلع هذا الموشح وهو [3]:

يـــا مـــن عـــدا وتعـــدَّى لـــو كنـــتُ أملـــكُ صَـــبْرى
كتمتُ عنـــــك الذى بـــى فأنت تَـــــدْرِى وتَـــدرِى

* * *

وجعله خرجةً لإحدى موشحاته [4].

وقد أشار ابن سنان الملك إلى استعارة الخرجات الجيدة من وشاحين سابقين فقال : " وفى المتأخرين مَنْ يعجز عن الخَرْجَةِ فيستعير خرجةَ غيره ، وهو أصوبُ رأياً ممن لا يوفَّقُ فى خرجته "[5].

* * *

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٧٥ ، ٢/ ٣٩١.

(٢) نفسه ١/ ١٠٨.

(٣) ديوان الموشحات الأندلسية ١/ ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٥٥٥ (موشحة ابن الغنى بالله)

(٥) دار الطراز فى عمل الموشحات ص ٣٣.

الفصل الثانى

صدى الموشح الأندلسى فى المشرق العربى

تأثر شعراء المشرق العربي ووشاحوه بكبار الوشاحين فى الأندلس فراحوا يحاكونهم فى روائع موشحاتهم.

ومن أبرز الشعراء المشارقة الذين حاكوا الأندلسيين فى بناء موشحاتهم ابْنُ سناء الملك وأحمد الموصلى والصفدى من القدماء ، ومن المشارقة المعاصرين شوقى وعبد المطلب ورمزى نظيم وغيرهم.

وفيما يلى عرض لمظاهر تأثرهم بالأندلسيين :

أولاً : تأثر ابن سناء الملك بعبادة بن ماء السماء :

يُعد عبادةُ بن ماء السماء المؤلّفَ الفعْلّى لفن الموشحات ، وهو من وشاحى العصر الأموى فى الأندلس ، توفي سنة ٤٢٢ هـ .

وقد نظم موشحته الرائعة المشهورة فى الغزل فقال [1] :

مَن وَلِى فى أُمةٍ أمراً ولم يَعْدِلِ يُعْزَلِ إلا لحاظَ الرشأ الأكحل

* * *

جُرْتَ فى حكمكَ فى قتلى يا مُسْرِفُ

فانصِفِ فواجب أن يُنْصَفَ المنصِفُ

---

(١) فوات الوفيات للكتبى جـ ١ ص ٢٠٠.

ديوان الموشحات الأندلسية ١/٥

فى الأدب الأندلسى د. جودة الركابى ص ٣٠٩

وارأف فإن هذا الشوق لا يـــرأفُ

عَلِّل قلبى بذاك الباد السَّلْسَلِ ينجلى ما بفؤادى من جوىً مُشْعَلِ

* * *

ومضى عبادة فى تغزُّله إلى أن ختمها بقوله :

مـــا اغتدى طَرْفِى إلاّ بسَنَى ناظريْكْ

وكذا فى الحب ما بى ليس يخفى عليكْ

وكذا أنشدُ والقلْبُ رهينٌ لَديـــــــكْ

يا على سلّطت جفنيكَ على مَقْتلى فابق لى قلبى وجُدْ بالفضل يا موئلى

* * *

وقد تأثر ابن سناء الملك بهذا الموشح ، واستجاده وأعجب به ، فنظم على نهجه موشحه المشهور الذى جمع بين وصف الطبيعة والخمر والغزل ، وقد استهله بوصف الطبيعة فقال [1]:

كلّلى يا سُحْبُ تيجانَ الرُّبى بالحُلى واجْعلى سوارها منعطفَ الجدْولِ

يا سما فيكِ وفى الأرض نجومٌ وما[2]

---

(١) فى الأدب الأندلسى د. جودت الركابى ص ٣٤٨ ط دار المعارف ، والموشحات الأندلسية . أنطوان محسن القوال ص ١٠٤.

ابن سناء الملك : أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك ، من شعراء الدولة الأيوبية ، برع فى الشعر والموشح ، من أشهر الوشاحين المشارقة ، وضع عروضاً للموشحات فى كتابه " دار الطراز" ولد بالقاهرة ٥٥٠هـ وتوفى سنة ٦٠٨ هـ.

(٢) وما : مسهل : ماء ، لاستقامة القافية.

كلَّما أغرَبَت نجماً أطْلَعَتْ أنجُما
وهى ما تهطِلُ إلا بالطلّى والدِّمَى
اهطِلِي على قطوف الكَرْم كى تمتلِي وانقُلِي للدَّنِّ طَعْمَ الشهد والقرنفُل

* * *

ومضى فى وصف الطبيعة ثم وصف الخمر ، ثم انتقل إلى الغزل ، وختم الموشح بقوله:

مَنْ ظَلَمْ فِي دولة الحُسْن إذا ما حكمْ
فالألَمْ يجول فــى باطنـــه والنـــدمْ
والقَلَمْ يكتبُ فيه عن لســـان الأُمَمْ :
مَنْ وَلِى فى أُمةٍ أمراً ولم يَعْدِلِ يُعْزَلِ إلا لحاظَ الرشأ الأكحلِ

والموشحان من وزن واحد وهو البحر السريع ، وقوافى الأقفال فى الموشحين لامية ، والأبيات تنوعت قوافيها طبقاً لقواعد بناء الموشحات التى وضعها ابن سناء الملك فى مقدمة كتابه " دار الطراز فى عمل الموشحات".

وقد أعلن ابن سناء الملك عن إعجابه بموشح عبادة بن ماء السماء وترسمه خطاه . فختم موشحه بمطلع موشح عبادة بن ماء السماء ، إعجاباً وتقديراً .

وإذا كان موشح عبادة نظم فى موضوع واحد هو الغزل ، فإن ابن سناء الملك قد جمع فى موشحه ثلاثة موضوعات هى الطبيعة ووصف الخمر والغزل ، مع اتفاق الموشحين فى الوزن وقوافى الأقفال .

ويبدو أن ابن سناء الملك حرص على محاكاة أولى الموشحات ظهوراً بالأندلس ، ليحذو حذوه من جاء بعده .

ويُعَدُّ موشحه هذا مظهراً من مظاهر تأثر المشارقة بالأندلسيين فى نظم الموشحات.

***

ثانياً :تأثر أحمد الموصلى والصفدى بالأعمى التطيلى:

من ملامح تأثر المشارقة بالأندلسيين فى نظم الموشحات إعجاب الموصلى والصفدى المشرقيين بموشح الأعمى التطيلى الذائع الصِّيت (ضاحك عن جمان)، وفيما يلى دراسة لتأثر هذين الوشَّاحَيْنِ بالأعمى التطيلى.

أ- تأثرالموصلى بالأعمى التطيلى [1]:

يعد الأعمى التطيلى من كبار الوشاحين فى عصر المرابطين ، واسمه : أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبى هريرة ، ولد فى إشبيلية أو هاجر إليها صغيراً ، و"تطيلة" موطن أهله ، ومن ثم نسب إليها فقيل : التطيلى ، ويرجح أنه ولد سنة ٤٨٢ هـ وتوفى سنة ٥٢٥هـ أو سنة ٥٢٠هـ .

كان ضريراً يقضى أكثر أيامه فى إشبيلية ، وقد عرف بالأعمى التطيلى ونظم الشعر والوشح ، وأكثر موشحاته فى المدح والغزل ، ومن أشهر مؤلفاته وجودها موشحه (ضاحك عن جمان) فقد شَرِقَتْ وغَرَّبَتْ ، وعارضها الكثيرون من الشعراء والوشاحين فى الأندلس والمشرق ، وقد استهلها بقوله [2]:

ضاحك عن جمانْ سافر عن بَدْر ضاق عنه الزمانْ وحواه صدرى

آه مما أَجِـدْ شفَّنى ما أَجِـدُ

قام بى وقَعَدْ باطش مُبَـدِّدُ

---

(١) الموشحات الأندلسية محسن القوال ص ٣٧.

(٢) ديوان الموشحات الأندلسية د. سيد غازى ٢٤٧/١.

خَـــدُّه مغنطيسْ لحديـــد البصَـــرْ

فرعه كاللّيالْ فَرْقُهُ كالفجـــــرْ حِرْتُ بين الضلال والهدى فى أمرى

* * *

والموشح خالص فى الغزل ، وقد نظمه الموصلى معارضاً الأعمى التطيلى موضوعاً و وزناً وقافية.

* * *

ب تأثر الصفدى [1] بالأعمى التطيلى :

قال الصفدى محاكيا التُطَيْلِي [2] :

جامحٌ فى الدلالْ جانحٌ للهجْـــــر خاطرٌ فى الجمالْ عاطرٌ فى النَشْر

* * *

غُصْـنُ بـانٍ رطيـبْ قـد زهـا بـالطرب
يثنـى فـى كثيـبْ بالصَّـبا عـن كثـب
ما لقلبـى نصيـبْ منـه غير النَّصـب
قمر فى كمالْ فوق غُصْنٍ نَضْـرِ طالعاً لا يزالْ فى دياجى الشَّعْر [3]

* * *

وختمه بقوله :

---

(١) هو خليل بن أيبك الصفدى ، ولد فى صفد بفلسطين سنة ٦٩٦هـ ، وتعلمَّ فى دمشق ، وتولى ديوان الإنشاء فى صفد ومصر وحلب ، كما تولى وكالة بيت المال بالشام ، ومات بالطاعون سنة ٧٦٤هـ.

وهو من شعراء العصر المملوكى ، نظم الشعر والموشح . وترك مؤلفات كثيرة من أشهرها : الوافى بالوفيات ، وألحان السواجع بن البادى والمراجع ، وتوشيع التوشيح . (انظر الموشحات الأندلسية . محسن القوال ص ١٤٨).

(٢) الموشحات الأندلسية : محسن القوال ص ١٤٨.

(٣) دياجى الشعر ، من إضافة المشبه به إلى المشبه والمراد تشبيه الشعر بالليل فى السواد ، والشعر الأسود من محاسن المرأة.

غصن بانٍ يميسْ في رياض الزهرْ
ريقه الخندريسْ في زلال ظهرْ[1]
فيه درٌّ نفيسْ في عقيق بهرْ
جفنُهُ حين صالْ في حنايا صدري لو كفاني النبالْ لاكتفى بالسّحرِ

***

والموشحان استوفى شروط المعارضة فقد اتفقا مع موشح الأعمى التطيلى فى الموضوع وهو الغزل ، وفى الوزن وهو البحر المديد ، وفى قافية الأقفال ، على رويّ الراء .

والأوصاف الغزلية فى الموشحات السالفة الذكر قديمة ، ومطروقة فالمحبوب ظبى وبدر ، وقدُّه كغصن البان ، وشعره كالليل ، وريقه خمر .

والشاعران المشرقيان الموصلى والصفدى تأثرا فى موشحيهما براند التوشيح فى الأندلس فى عصر المرابطين وهو الأعمى التطيلى . فعارضاه بدافع الإعجاب والتكريم ، ولم يستعيرا خرجته أو مطلعه كما فعل الأندلسيون فى معارضاتهم . وابن سناء الملك فى موشحه :

(كلّلى يا سُحُبُ تيجان الربى بالحلى) حيث ختمه بمطلع عبادة بن ماء السماء ، كما أسلفنا .

وقد اكتفى الموصلى والصفدى بالوزن والقافية والموضوع ، واستعارة الكثير من الأوصاف الواردة فى موشح التطيلى إعلاناً عن تأثرهما بموشحه .

***

(١) الخندريس : الخمر .

ثالثاً : تأثر الصفدى بابن زهر الأشبيلى:

عرفنا أن الصفدى تأثر بكبار الوشاحين فى الأندلس فعارض الأعمى التطيلى فى موشحه سالف الذكر ، كما عارض ابن زهر كبير الوشاحين الأندلسيين فى عصر الموحدين ، فقد أعجب بموشحه المشهور :

أيها الساقى إليك المُشْتَكَى قد دعوناكَ وإن لم تسمع

* * *

فعارضه وزناً وقافيةً وموضوعاً ، فموشح ابن زهر نظم على البحر الرمل ، وقوافى الأقفال : عينية ، والأبيات منوعة القافية طبقاً لقواعد نظم الموشحات ، وموضوعه : الغزل كما سبق أن ذكرنا سلفاً :

فقال الصفدى على نهج ابن زهر بدافع الإعجاب [1]:

هَلكَ الصَّبُّ المعَنَّى هل لكا فى تلافيه بِوَعْدٍ مطْمَعِ

* * *

أيها البدْر الذى لما بَدَا

غاب عن عشَّاقه فيه الهُدَى

أنت فى قلبى مُقيمٌ أبدا

فلكَ الأحشاء أَمْسَتْ فلكا فاستَقِمْ فى الأوْجِ منها واطْلَعِ

* * *

---

(١) الموشحات الأندلسية : أنطوان القوال ص ١٥٣ .

ومضى متغزلاً إلى أن ختمها بقوله :

قمر مهما رنا أو رمقـــا[1]

لم يدعْ للصَّبِّ منه رمقـــا

آه من طول عنائى والشقـــا

فهْوَ لا يسمع منّى مُشْتَكـــى وأنا للنصح فيه لا أَعِـــى

* * *

فالصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ ، واحد من كبار شعراء المشرق فى العصر المملوكى فى القرن الثامن الهجرى ، ومن كبار المؤلفين ، أعجب بموشح ابن زهر "، أيها الساقى.." فعارضه إعجاباً وتقديراً ، كما أعجب بسلفه من قبل ، وهو الأعمى التطيلى .

ومعارضته لهذين الرائدين التطيلى وابن زهر تكشف عن تذوق الصفدى لروائع الموشحات الأندلسية ، وحرصه على محاكاتها ، وتأثره بها .

* * *

(١) رمقا (الأولى) : نظر ، والثانية : بقية الروح ، وبينهما جناس لطيف.

رابعاً : تأثر بعض المشارقة المعاصرين بالموشح الأندلسى:

إذا كان الوشاحون فى الأندلس قد تأثروا بروائع موشحاتهم عبر عصور الأندلس – كما أسلفنا فى الفصل الأول ، فإن كبار الشعراء المشارقة أيضاً قد تأثروا بما استجادوا من موشحات الأندلس كابن سناء الملك وأحمد الموصلى والصفدى . وتبعهم كبا الشعراء المعاصرين كشوقى ومحمود رمزى نظيم وأحمد عبد المطلب.

١- أما شوقى فأعجب بموشح لسان الدين بن الخطيب فى مدح أميره الغنى بالله ومطلعه [١]:

جادكَ الغيثُ إذا الغَيْثُ هَمَى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندلس
لم يكن وَصْلُكَ إلا حُلُما ... فى الكرى أو خُلسةُ المختَلِسِ

فعارضه بموشحه (صقر قريش) عبد الرحمن الداخل فقال[٢] :

مَنْ لنَضْوٍ يتنزَّى أَلَما ... برَّح الشوقُ به فى الغَلَسَ
حَنَّ للبّان وناجى العلما ... أين شرق الأرض مِنْ أندلسِ؟

***

وقد نظمه شوقى وهو فى منفاه بالأندلس ، وصاغه فى أسلوب قصصى استعرض فيه سيرة عبد الرحمن الداخل الأمير الأموى الذى خرج طريداً فأقام دولة بالأندلس عرفت بالدولة الأموية ، وقد سرد فيها بطولاته ومغامراته منذ

---

(١) نفح الطيب جـ ٧ ص ١١ – ١٤ ؛ تحقيق د. إحسان عباس ط دار صاد ١٩٦٨ .
(٢) الشوقيات ٢/ ١٧١ – ١٧٨.

أن خرج طريداً فاراً من بطش العباسيين .

وقد حاكى شوقى أستاذه ابن الخطيب فى الوزن والقافية ، والموضوع ، فالموشحان من بحر واحد هو الرمل ، والأقفال على روىّ واحد هو السين ، والموضوع : المدح فابن الخطيب يمدح أميره ، وشوقى يشيد ببطولات صقر قريش ومغامراته فتأثر شوقى بابن الخطيب واضح وجلىّ .

٢ – أما محمود رمزى فتأثر بابن سهل أستاذ ابن الخطيب ورائد فن التوشيح فى عصر الموحدين ، فابن سهل يقول فى مطلع موشحه الغزلى المشهور[١]:

هل درى ظبى الحمىَ أنْ قد حَمَى ... قَلْبَ صَبّ حَلَّهُ عن مَكْنس
فَهْوَ فى حرّ وخفقٍ مثلما ... لَعِبَتْ ريح الصَّبَا بالقَبَس

* * *

ورمزى نظيم تأثر بهذا الاستهلال وبالوزن والقافية فى رثاء أم أمير الشعراء أحمد شوقى ، فقد ماتت وشوقى ولدها فى منفاه بالأندلس فرثاها رمزى نظيم متأثراً بمطلع ابن سهل فقال[٢]:

هل درى أحمد أو هل علما ... شاعر المشرق بالأندلس
أنا من بعده نبكى دما ... للبيان الشيّق المحتبس ؟

* * *

---

(١) ديوان ابن سهل ص ٢٨٣.

(٢) موشحات محمود رمزى نظيم ص ٥٧.

وهى موشحة طويلة اتفقت مع موشح ابن سهل فى الوزن والقافية واختلفت فى الموضوع ، فالوزن هو البحر الرمل ، والروىّ هو السين فى قوافى الإسقبال .

أما الموضوع فاختلف ؛ فموضوع موشح ابن سهل فى الغزل وموضوع رمزى نظيم فى رثاء أم أمير الشعراء [1].

كما أن نظيم أعجب بمطلع ابن سهل واستهلاله بالاستفهام المثير (هل درى ظبى الحمىَ) فحاكاه فى هذا الاستهلال فقال : (هل درى أحمد أو هل علما...) .

فالتأثر واضح فى الوزن والقافية والمطلع ، بيد أن نظيم زاد فى عدد أجزاء البيت فى بعض موشحاته ومنها موشحته فى رثاء أم أمي الشعراء أحمد شوقى التى أشرنا إليها : (هل درى أحمد أو هل علما...) .

فقد بلغ عدد أجزاء البيت فى تلك الموشحة أربعة عشر جزءاً ، فى حين أن البيت فى موشح أستاذه ابن سهل لم يزد على ستة أجزاء .

وبَعْدَ مطلع نظيم " السالف الذكر أتبعه بقوله مناجيا أمير الشعراء ، واكيا مجد الأندلس ، بعد أن نعب فيها غراب البين :

أيهـا الصـادحُ والبـاكى علـى ... طلـل الحمـراء أيـامَ العـربْ
أيـن مُلْـكٌ كـان فيهـا وإلى ... أى شعب صار أو كيف انقلبْ!

---

(١) هو ابو الوفاء محمود رمزى نظيم شاعر مصرى ولد فى محافظة المنوفية سنة ١٨٨٧ م ، وشب على حب الحرية والإخلاص للوطن ، فسجن وشرّد مثل شوقى ، وكان معاصرا لشوقى ، مُحباً له ، وكانت حياته سلسلة كفاح متصلة الحلقات.

وهى موشحة طويلة اتفقت مع موشح ابن سهل فى الوزن والقافية واختلفت فى الموضوع ، فالوزن هو البحر الرمل ، والروىّ هو السين فى قوافى الاسقبال .

أما الموضوع فاختلف ؛ فموضوع موشح ابن سهل فى الغزل وموضوع رمزى نظيم فى رثاء أم أمير الشعراء [1].

كما أن نظيم أعجب بمطلع ابن سهل واستهلاله بالاستفهام المثير (هل درى ظبى الحمى) فحاكاه فى هذا الاستهلال فقال : (هل درى أحمد أو هل علما...) .

فالتأثر واضح فى الوزن والقافية والمطلع ، بيد أن نظيم زاد فى عدد أجزاء البيت فى بعض موشحاته ومنها موشحته فى رثاء أم أمي الشعراء أحمد شوقى التى أشرنا إليها : (هل درى أحمد أو هل علما...) .

فقد بلغ عدد أجزاء البيت فى تلك الموشحة أربعة عشر جزءاً ، فى حين أن البيت فى موشح أستاذه ابن سهل لم يزد على ستة أجزاء .

وبَعْدَ مطلع نظيم " السالف الذكر أتبعه بقوله مناجيا أمير الشعراء ، باكيا مجد الأندلس ، بعد أن نعب فيها غراب البين :

أيها الصادحُ والباكى على ... طلل الحمراء أيامَ العربْ
أين مُلْكٌ كان فيها وإلى ... أى شعب صار أو كيف انقلبْ!

---

(١) هو ابو الوفاء محمود رمزى نظيم شاعر مصرى ولد فى محافظة المنوفية سنة ١٨٨٧ م ، وشب على حب الحرية والإخلاص للوطن ، فسجن وشرّد مثل شوقى ، وكان معاصرا لشوقى ، مُحباً له ، وكانت حياته سلسلة كفاح متصلة الحلقات.

موشحات متأثرين فى نظمها بالموشحات الأندلسية التى وافقت أوزان العرب ، لكن مساحة البحث لا تتسع لاستعراض نماذج من موشحاتهم ، ولا بأس من الإشارة إليهم ليفيد منها الدارسون والباحثون فى أبحاثهم مستقبلاً .

فمن هؤلاء المشارقة المعاصرين العقاد فى موشحه (سباق الشياطين) [١]. وحافظ أبراهيم فى موشحه (البوصة)[٢]، ومعروف الرصافى فى موشحه (محاسن الطبيعة) ومحمد رضا الشبيبى وزير المعارف العراقى المتوفى سنة ١٩٦٥م فى موشحه (القطرات الثلاث) [٣].

ومن شعراء المهجر إيليا أبو ماضى فى موشحه (العميان) وهو موشح أقرع نظمه من البحر الخفيف واستهله بقوله [٤]:

كم خفضنا الجناح للجاهلينا
وعذرناهمُ فما عذرونـــــا
خبِّروهمْ يا أيها العاقلونـــــا
إنما نحن معشـــــر الشعـــــراء يتجلى سرُّ النبوة فينـــــا

* * *

ومثل الموشح الأقرع موشح الشاعر المهجرى "رشيد أيوب" وموضوعه "النفس الهاربة" وقد نظمه على البحر المتقارب[٥].

---

(١) ديوان العقاد – يقظة الصباح ص ٨٠ ط بيروت.
(٢) ديوان حافظ إبراهيم جـ ١ ص ١٦٢ – المطبعة الأميرية ١٩٥٦ م .
(٣) مجلة الزهراء – جمادى الثانية ١٣٤٦ ص ٢١٤.
(٤) الجداول ص ٧٣ د دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٥.
(٥) قصة الأدب المهجرى د. خفاجى جـ ٢ ص ٣٥١.

فابن سناء الملك واضع قواعد الموشحات عارض موشح عبادة بن ماء السماء إعجاباً وتقديراً ، وختم موشحه بمطلع موشح عبادة بن ماء السماء ، وأحمد الموصلي والصفدى المشرقيان تأثّرا بموشح الأعمى التُّطَيْلِي الأندلسي: (ضاحك عن جمان سافر عن بَدْرِ) لذيوعه وجودته وشهرته.

كما تأثر الصفدى بموشح ابن زهر الأندلسى المشهور :

(أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تَسْمَع)

٤- كشف البحث عن تأثر كبار الشعراء المشارقة فى العصر الحديث بالموشح الأندلسى كتأثر شوقى بابن الخطيب ، ومحمود رمزى نظيم بابن سهل، ومحمد عبد المطلب شاعر البادية بابن زهر.

كما كشف البحث عن تأثر شعراء مشارقة آخرين بالبناء الفنى للموشحة الأندلسية كالعقاد وحافظ إبراهيم ، ومعروف الرصافى ومحمد رضا الشبيبى وزير المعارف العراقى ، وبعض شعراء المهجر كإيليا أبى ماضى وإلياس فرحات ، ورشيد أيوب ؛ مما أدَّى إلى ازدهار فن التوشيح فى الأندلس والمشرق العربى .

٥- أن شعراء المشرق فى العصر الحديث توسعوا فى موضوعات الموشحة، بما يلائم عصرهم "كسباق الشياطين" للعقاد ، و"البورصة، لحافظ ، والقطرات الثلاث للشبيبى ، و"العميان" لإيليا أبى ماضى ، و"النفس الهاربة" لرشيد أيوب، و"خصلة الشعر" لألياس فرحات ، مِمَّا أسهم فى تطور فن الموشحات فى المشرق العربى فى العصر الحديث ، والتوسع في موضوعاتها.

***